تقـــديم

نحـــن .. والقـــرآن

القرآن هو كتاب الله .. وكلماته ودستور الحياة . ومن اعتصم بكتاب الله فاز .. ومن طلب الهدى فلن يجده فى غيره .

لكى نعيش حياة طيبة ... لن نجد ذلك فى غير هدى القرآن ... ولكى نحقق لأنفسنا كل خير .. لن نجد مصباحاً ينير لنا الطريق غير كتاب الله ولكى تكون لنا العزة .. والمنعة .. والحرية .. فكتاب الله هو الطريق .

لن نجد الأسلوب الحقيقى لتحقيق هذا فى غير القرآن، والقرآن ليس كتاباً محدوداً بزمان ..

إنه كتاب الدنيا والآخرة .. وفيه خير الناس – وتوجيهات الله للناس .. ومايصلح به أمور الناس، فى كل جيل وفى الأجيال التالية .. وفى جيلنا هذا وفى أجيال أخرى قادمة ستأتى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

لو عاشت الأرض وعمرت مائة ألف عام . أو مليون عام أو مائة ألف مليون عام . فإن هداها . وصلاح أمرها . وصلاح أمور الخلائق بين طيات هذا الكتاب المبارك الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. لذلك فإننا لم ولن نصل إلى الإحاطة بكل ما فيه؛ فإن كل قوم فى كل زمان– من تلك الأزمان الماضية أو القادمة – قد صار تخطيط كيانهم فى هذا الكتاب . لقد تحدث القرآن الكريم عن أشياء قبل أن تقع ثم جاءت بعد ذلك كما أشار .

فقد بشر المسلمين .. وهم فى المدينة (يثرب) وقبل أن يفكروا فى فتح مكة . وحين كان ذلك مجرد رؤيا يراها سيد البشر عليه الصلاة والسلام . بشرهم القرآن بأنهم سيدخلونها وسيعودون إلى المسجد الحرام ، والكعبة المشرفة،

يقول الله تعالى : ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم** ﴾ . [٢٧/ الفتح] .

ولقد حارب المسلمون الروم – وهزموهم ولكن القرآن أخبرهم بأن الروم سيعودون مرة أخرى ، وينتصرون – لعل ذلك كان تحذيراً – ولكن الذى يعنينا أن الكتاب المبارك أحاط الإحاطة الكاملة بالخطوط الرئيسية للأحداث . وأما عن آية هزيمة الروم ثم انتصارهم فقد قال تعالى : ﴿ **غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين** ﴾ . [٢ : ٤ / الروم]

إننا نجد معركتنا الحاضرة مع الصهيونية العالمية ، والشيوعية المفسدة ، والأفكار الهدامة مثل القومية والاشتراكية ... إلخ لقد أخبرنا القرآن بهؤلاء المتآمرين على إسلامنا الحنيف بأفكارهم، وفسادهم فى الأرض وبعون الله سينتهى أمرهم إلى الهزيمة المحققة .

نحن إذن أمام كتاب الله .. ونسمع فى كل يوم كلماته – وفيها كنوز الخير والبركات – لذلك لن يفلح من يغفل أمر هذا الكتاب ولن يفوز إلا من يقبل عليه .

فمن أراد الخير لنفسه ، ولمستقبله ، ولعمله ، ولأسرته ، ولكل شأن من شئون دينه ودنياه – فإن النبع أمامه ..

ولكننا نجهل الكثير عن الظروف التى أحاطت بالتنزيل وكيف نزلت الآيات ، وكيف كتبت – وكيف نقبل على كتاب الله .. وكيف نجعله ربيع قلوبنا – إلى آخر ما لاغنى عنه لكل مسلم بحق .. ونقول بحق إن أكثرنا فى حاجة إلى تصحيح معنى الإيمان .. الإسلام فى قلبهِ مجرد كلمات تقال ، وحتى لا نفاجأ حين نقف بين يدى الله بأنه قد فاتنا الكثير .. وحتى لا نندم يومذاك حين لاينفع الندم .. فوصيتنا أن يُقرأ كتاب الله مرات ومرات .. وأن يُحفظ ما فيه ..

﴿ **إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا** ﴾

والله الموفـق والمسـتعان ..

منهجنـا فى تحقيق الكتـاب

١ - اعتمدتُ فى تحقيق كتاب « مورد الظمآن إلى معرفة فضائل القرآن » على نسخة مخطوطة محفوظة فى المكتبة الخاصة بفضيلة الشيخ أبى بكر محمد أبى بكر فى جهينة بسوهاج - جنوب مصر وهو من كتب الفقه الحنبلى ، وهى تقع فى ٤٥ لوحة ، مساحتها ١٥ سم × ١٧ سم بخط كوفى ، لون مِداده أحمر محلى بالأسود .

٢ - قمنا بنسخها رغم أن معظمها (مُخرماً) و(مطموساً) وحاولنا تصحيحها وتخليصها من الأخطاء النحوية واللغوية قدر الطاقة .

٣ - قمنا بتخريج الآيات القرآنية ، وجئنا بتمامها فى الهامش حيث أن ابن رجب كثيراً مايذكر جزءاً من الآية دون تمامها ، ثم علقنا على الآيات بما يناسب الموضوع الذى بصدده الكتاب .

٤ - خرجنا الأحاديث تخريجاً علمياً بالرجوع إلى المصادر المعتمدة للسنة مع البيان الكامل لمكان الحديث ببيان رقم الجزء والصفحة ورقم الحديث.

٥ - خرجنا أيضاً بعض الأخبار والآثار التى وردت عن الصحابة والتابعين والصالحين ليقف القارىء على صحة وموضع ورود الخبر . .

٦ - قمنا بتوضيح معانى المفردات التى قد يغمض معناها على القارىء المعاصر بالرجوع للمعاجم اللغوية : مثل لسان العرب - أساس البلاغة - مختار الصحاح ... إلخ .

ابن رجب الحنبلى

الرجل .. والسيرة

• نسبه :[٥]

هو عبدالرحمن بن أحمد بن رجب السَّلامى البغدادى ثم الدمشقى ، كنيته أبوالفرج ، أما لقبه فهو زين الدين ، وله لقب آخر أورده ابن العماد الحنبلى فى « شذرات الذهب »[١] هو جمال الدين . وقد عرف بابن رجب نسبة إلى جده .

• مولده :

ولد ابن رجب الحنبلى ببغداد فى ربيع الأول عام ٧٣٦هـ .[٢]

نشأته وطلبه للعلم :

قضى ابن رجب فترة حياته الأولى ببغداد والتى امتدت ٨ سنوات ، ثم غادرها وقدم دمشق السورية مع والده شهاب الدين أحمد بن رجب عام (٧٤٤هـ) ،

---

(٥) يجدر بالذكر أننى استفدت من المقدمة التى كتبها الأخ/ عادل معاطى لكتاب (الخشوع فى الصلاة) والصادر عن دار المشرق العربى بالقاهرة وترجم فيها لابن رجب الحنبلى .

(١) راجع شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - ابن العماد الحنبلى - المكتب التجارى للطباعة - بيروت (٣٣٩/٦) .

(٢) ذهب ابن حجر فى الدرر الكامنة (٢ /٤٢٨) ، وإسماعيل باشا البغدادى فى هدية العارفين (٥٢٧/١) إلى أن مولد ابن رجب الحنبلى كان عام ٧٠٦هـ . أما الزركلى فى الأعلام (٦٧/٤) فقد ذهب إلى أن مولده كان عام ٧٣٦هـ وهذا فى رأينا الصواب . فقد قال ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب (٣٣٩/٦) : (قدم من بغداد مع والده إلى دمشق وهو صغير سنة ٧٤٤هـ) ، فلو قلنا إن مولده كان عام ٧٠٦هـ . فمعنى ذلك أن عام ٧٤٤هـ - وهو عام قدومه على دمشق - سيكون ٣٨ عاما ، مما لايتفق مع وصف ابن العماد له حينذاك ، ولذلك نرجح أن يكون مولده عام ٧٣٦هـ أى أنه عند دخول دمشق كان سنه حوالى ثمان (٨) سنوات .

حيث قضى حياته كلها إلى أن توفى فيها ودفن فيها ، ولكنه كان قد ذهب إلى مكة المشرفة ومصر المحروسة سعيًا وراء العلم .

إن القارىء لترجمة ابن رجب الحنبلى يلمس بوضوح كيف أن البيت المسلم عندما يكون بيت علم وفقه يخرج أبناؤه علماء أفذاذ ، وهذا مما يؤكد أهمية اهتمام الإسلام بإنشاء البيوتات التى تقوم على فهم صحيح للإسلام يتم فيها تربية الأبناء تربية سليمة بعيدة عن الانحراف والتحلل والفلسفات والنظريات الغربية الغريبة عن جوهر الإسلام ؛ فابن رجب الحنبلى نسب إلى جده الذى كان إمامًا محدثًا ، ونجد أن والده أخذ بيده لحضور مجالس العلم فى دمشق ، حيث سمعا معاً من محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخباز ، وكذلك من إبراهيم بن داوود العطار .

وقد اشتغل ابن رجب بسماع الحديث باعتناء والده ، حتى أجازه[1] ابن النقيب والنووى[2] .

ثم إنه سمع العلم فى مكة ومصر .

ـــ ففى مكة : سمع على الفخر عثمان بن يوسف .

ـــ وفى مصر : سمع من صدر الدين بن الفتح الميدومى ، من جماعة من أصحاب ابن البخارى ومن خلق من رواة الآثار .

وقد قرأ ابن رجب القرآن بالروايات ،وأكثر عن الشيوخ وخرج لنفسهِ مشيخة مفيدة .

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر فى تحقيقه لكتاب « اختصار علوم الحديث لابن كثير » ط٣ – مطبعة صبيح ص ١٢١ : «الإجازة: أن يأذن الشيخ لغيره بأن يروى عنه مروياته أو مؤلفاته ، وكأنها تتضمن إخباره بما أذن له بروايته » .

(٢) هو غير الإمام أبى زكريا يحيى النووى صاحب شرح مسلم والأذكار ورياض الصالحين ، فإنه توفى عام ٦٧٦هـ أى قبل مولد ابن رجب بـ ٦٠ عاماً .

مجالـس علمـه :

كانت لابن رجب مجالس علم وصفها ابن العماد فى كتابه « شذرات الذهب » بقوله[1] :

« وكانت مجالسه تذكر للقلوب الضارعة ، وللناس عامة مباركة نافعة ، اجتمعت الفرق عليه ، ومالت القلوب بالمحبة إليه » .

مصنفاتـــه :

من مصنفات ابن رجب الحنبلى :

ـــ جامع العلوم والحكم (وهو شرح أربعين النووى وزادها عشرة أحاديث) – طبع فى مصر بتحقيق : أ.د. محمد الأحمدى أبوالنور – القاهرة – دار الكتاب الجديد ١٩٦٩م . وجدد طبعه ضمن سلسلة كتاب (الإمام) عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٨٦م بالقاهرة .

ـــ اختيار الأُولى فى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى . طبع بالقاهرة – مطبعة أنصار السنة المحمدية .

ـــ كلمة الإخلاص وتحقيق معناها . طبع بمصر سنة (١٣٦٩هـ – ١٩٥٠)، وكذلك طبعه المكتب الإسلامى بدمشق السورية .

ـــ كشف الكربة فى وصف حال أهل الغربة أول من نشره أستاذنا المفضال أحمد محمد شاكر – القاهرة – مطبعة النهضة الأدبية . وقمنا بتحقيقه لصالح مكتبة القرآن بالقاهرة .

ـــ شرح حديث « ماذئبان جائعان » طبع فى لاهور سنة ١٣٢٠هـ . وبمصر طبع مع « جامع بيان العلم » .

ـــ نور الاقتباس فى مشكاة وصية النبى ﷺ – وطبع بمكة بمطبعة الترقى الماجدية – ١٣٤٧هـ ، وطبع بمصر سنة ١٣٦٥هـ .

---

(١) راجع شذرات الذهب (٦: ٣٣٩) .

ـ الاستخراج لأحكام الخِراج . طبع بمصر سنة (١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م) .

ـ تفسير سورة « النصر » طبع بالهند .

ـ ذيل طبقات الحنابلة وهو من أشهر كتبه . طبع الجزء الأول منه فى دمشق السورية سنة (١٣٧٠هـ - ١٩٥١م) . وطبع الأول والثانى بالقاهرة بعد ذلك

ـ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف. طبع بالقاهرة - عيسى الحلبى ١٩٢٤م .

ـ غاية النفع فى شرح تمثيل المؤمن بنخلة الزرع - مطبعة أنصار السنة ١٩٣٩هـ .

ـ فضل علم السلف على الخلف . طبع بمصر . مصطفى الحلبى ١٣٤٧هـ .

ـ الفرق بين النصيحة والتغيير .

ـ أهوال القبور (طبع أكثر من مرة) .

ـ مورد الظمآن إلى معرفةِ فضائل القرآن وهى الرسالة التى نحققها وندرسها لأول مرة .

ـ « الخشوع فى الصلاة » أو « الذل والانكسار للعزيز الجبار » وقد قمنا بتحقيقه تحت العنوان الثانى لصالح مكتبة القرآن بالقاهرة .

* **وله غير ذلك كتب كثيرة منها :**

ـ شرح جامع الترمذى . ذكره صاحب (الأعلام ٦٧/٤) ، وصاحب (شذرات الذهب ٣٣٩/٦) ، وصاحب (الدرر الكامنة ٤٢٨/٢) ، وصاحب (هدية العارفين ٥٢٧/١) .

ـ فضائل الشام . ذكره صاحب (الأعلام ٦٧/٤) .

ـ القواعد الفقهية وجدناه فى (الأعلام - شذرات الذهب - الدرر الكامنة - هدية العارفين) وسماه (القواعد الكبرى) فى الفروع .

ـــ فتح البارى شرح صحيح البخارى . قال ابن العماد فى شذرات الذهب (٣٣٩/٦) « إنه وصل إلى الجنائز ، ينقل فيه كثيراً من كلام المتقدمين » .

ـــ الاستغناء بالقرآن (هدية العارفين ٥٢٧/١) ، وذكره ابن رجب فى كتابه (الخشوع فى الصلاة) أو (الذل والانكسار للعزيز الجبار) .

ـــ استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض الأنس . (راجع كتاب هدية العارفين) .

ـــ التخويف من النار ، والتعريف بحال دار البوار (فى هدية العارفين).

ـــ الإلمام فى فضائل بيت الله الحرام (فى هدية العارفين) .

ـــ مولدات فى فضائل الشهور (فى هدية العارفين) .

ـــ رياض الأنس (فى هدية العارفين) .

ـــ تقرير القواعد وتحرير الفوائد فى الفروع (فى هدية العارفين).

وغيرها من المصنفات القيمة التى طرق بها ابن رجب الحنبلى كثيراً من فروع العلم من فقه ، وحديث ، ووعظ ، وتراجم .

قالـوا عن ابن رجـب :

ـــ « أتقن الفن – أى فن الحديث – وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتتبع الطرق ، وتخرج به غالب أصحابنا الحنابلة بدمشق » [ابن حجى][1]

ـــ « ابن رجب شيخ الحنابلة والمحدثين ، وهو زين الدين بن رجب الإمام الأصولى المحدث الفقيه والواعظ الشهير كان إماماً فى الفنون وله مصنفات

---

(١) راجع شذرات الذهب (٣٣٩/٦) ، وقد ورد فى ترجمة ابن رجب فى طبعة المكتبة القيمة (ص٥) أن هذا القول لابن حجر ، وهو خطأ ، والقول نفسه يوضح ذلك ، فإنه يقول : « غالب أصحابنا الحنابلة » وابن حجر كان شافعيا والله أعلم .

كثيرة » [نعمان قساطلى][1] .

ـ « كان إماماً بارعًا عديم النظير فى عصره » [محمد شمس الحق][2] .

وفاتـــه :

توفى رحمه الله ليلة الإثنين فى الرابع من شهر رمضان عام (٧٩٥هـ - ١٣٩٣م) بعد حياة دامت ٥٩ عاماً ، حفلت بالسعى فى طلب العلم ثم التدريس وتصنيف الكتب ، وقد توفى بأرض الخميرية ببستان كان استأجره .

وقد دفن رحمه الله بالباب الصغير بجوار قبر الشيخ الفقيه عبدالواحد بن محمد الشيرازى .

قال ابن ناصر الدين : « لقد حدثنى من حفر لحد ابن رجب أن الشيخ زين الدين بن رجب جاءه قبل أن يموت بأيام فقال : احفر لى هاهنا لحداً ، وأشار إلى البقعة التى دفن فيها فقال : فحفرت له ، فلما فرغ نزل فى القبر واضطجع فيه فأعجبه ، وقال : هذا جيد ، ثم خرج ... قال : فوالله ما شعرت بعد أيام إلا وقد أتى به ميتاً محمولاً فى نعشه فوضعته فى ذلك اللحد »[3] .

رحم الله ابن رجب فقد كان عالما فاضلاً زاهداً ، ترك لنا علماً ننتفع به ، وتراثنا نستضىء به ، فكان برهاناً على أن التراث الإسلامى تراث متجدد لاتنتهى فوائده على مر العصور لأنه يأخذ من معين القرآن والسنة الذى لاينضب .

يسرى عبدالغنى

القاهرة فى: ٢٩ رمضان ١٤٠٩ هـ
٥ مايو ١٩٨٩ م .

---

(١) راجع الروضة الغناء فى دمشق الفيحاء / لنعمان أفندى قساطلى - بيروت ١٨٧٩م - ص١٣٣ .

(٢) العلامة أبوالطيب محمد شمس الحق صاحب الذيل على كتاب فوات الوفيات - وراجع ترجمة ابن رجب فى « الخشوع فى الصلاة » - مطبعة العباسية الحديثة - مصر .

(٣) راجع شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى /٦ ص٣٣٩ .

مَورد الظمآن إلى

مَعرفة فضائل القرآن

خطبـــة المؤلـف

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، والحمد لله رب العالمين ...

الحمد لله جابر القلوب المنكسرة من أجله ، وغافر ذنوب المستغفرين بفضلِهِ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، ولاشيء كمثلِهِ ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وخيره بين أن يكون ملكاً نبياً أو عبداً رسولا ، فاختار مقام العبودية مع رسله(*) .

أما بعـــد ...

(*) يلاحظ أن نفس المعنى الذى تضمنته خطبة ابن رجب ورد من قبل فى صدر كتابه « الذل والانكسار للعزيز الجبار » والمتداول بيننا باسم « الخشوع فى الصلاة » .